د. ساري نصر الدين - محاضرات تاريخ الفكر الإ

الفصل السادس

الفكر الاقتصادي الطبيعي

المدرسة الطبيعية وبوادر التفكير العلمي والبحث عن القوانين الطبيعية

ير - جامعة سطيف 1 (النسخة الكترونية)

المعارف المستهدفة

- معرفة التحول في مجال التفكير الاقتصادي من التوجه الفلسفي إلى التوجه العلمي.
- إبراز أهم أفكار الطبيعيين.
- معرفة فكرة الجدول الاقتصادي وفكرة الناتج الصافي.

الكلمات الدلالية

المدرسة الطبيعية، القوانين العلمية، الظاهرة الاقتصاية، الجدول الاقتصادي، الناتج الصافي.

محاور المحاضرة

- **المحور الأول: ظهور الفكر الطبيعي وبوادر التفكير الاقتصادي العلمي.**
- **المحور الثاني: الخطوط العريضة لفكر المدرسة الطبيعية.**
- **المحور الثالث: التحليل الاقتصادي وفكرة الناتج الصافي والجدول الاقتصادي.**
- **المحور الرابع: أهم رواد المدرسة الطبيعية.**
- **المحور الخامس: تقييم إسهامات المدرسة الطبيعية في الفكر الاقتصادي.**

أسئلة للنقاش

بساري نصر الدين - محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي - كلية العلوم الاقتصادية والتجارية و علوم التسيير - جامعة سطيف 1 (النسخة الكترونية)

تمهيـــــد

مع بداية النصف الثاني من القرن الثامن عشر بدأت تتبلور أفكار اقتصادية مغايرة تماما لما جاء به التجاريون، بل وتنتقدها لقصورها في فهم وحل الكثير من الظواهر الاقتصادية المستجدة، وعجزها عن مسايرة تطور النشاط الاقتصادي، وقصر نظرتها وسذاجتها في تحديد مفهوم القيمة والثروة.

فقد كانت هناك أحداث إقتصادية ووقائع متسارعة، كالثورة الصناعية التي شهدتها أوروبا في تلك الفترة، وبالتالي كان لابد للفكر الاقتصادي أن يسار التطور التقني والعلمي الذي شهده الدول الأوروبية.

المحور الأول: ظهور الفكر الطبيعي وبوادر التفكير الاقتصادي العلمي

بعد أن كان معظم الفكر الاقتصادي مرتبطا بالفلسفة اليونانية القديمة وما تحمله من معاني مثالية و"أخلاقية" لا يمكن تطبيقها أو يصعب ذلك، و ارتباط هذا الفكر بالمقدسات الكنسية، أو الاتجاهات التجارية الداعية للبحث عن الثروة كغاية في حد ذاتها وعدم الاهتمام بتطوير الفكر الاقتصادي وبلورة نظريات تخدم الاقتصاد ليصبح علم متكامل الأركان، إتجه العديد من المفكرين الاقتصاديين واصحاب القرار السياسي منتصف القرن الثامن عشر إلى التفكير بشكل طبيعي وربط الظواهر الاقتصادية بقوانين طبيعية محضة.

1. عوامل ظهور الفكر الطبيعي

ظهر الفكر الاقتصادي الطبيعي كرد فعل طبيعي للتيار التجاري من حيث رفض المبادئ الأساسية للتجاريين وفلسفتهم الاقتصادية التي تقوم على أفكار إعتبرها الفزيوقراط ساذجة، بل ولم يرحبوا تماما بفكرة تدخل الدولة في الاقتصاد حتى في الشق التجاري منه، فهذا التدخل يصعب من المنافسة ويقيدها ويؤثر سلبا على النشاط الصناعي والاقتصادي عموما.

ومع تزايد التضخم في أوروبا وعجز الفكر التجاري عن حله، كان لابد من تجديد فكري اقتصادي يُبنى على الأسس السابقة وينتقدها ليطورها، فظهر الطبيعيون كحتمية طبيعية لتطور الفكر البشري.

بساري نصر الدين محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي - كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير - جامعة سطيف 1 (النسخة الكترونية)

كما أن سيادة الروح الفكرية العلمية في القرن الثان عشر في مختلف العلوم الطبيعية كالفزياء والفلك وغيرها، أثر على الاتجاه الفكري الاقتصادي ودفعه نحو المنطقية والتفكير بواقعية وبصبغة أكثر علمية بعيدا عن الفلسفات اللاهوتية ماوراء الطبيعية، فقد إتجه بعض المفكرين لمحاولة ربط المجتمع الانساني بقوانين طبيعية وتشبيهه بجسم الإنسان، وتطبيق قوانين وظائف الجسم على سلوك الجماعات الانسانية (فرنسوا كيناي)، كما إتجه البعض الآخر من المفكرين إلى إخضاع السلوك الإنساني إلى قواعد ميكانيكة مجردة في بعض الأحيان.

ومن هنا برزت بوادر التفكير العلمي في مجال تحليل الظواهر الاقتصادية، فمفكري التيار الطبيعي كانوا ينادون بأن الاقتصاد تحكمه ظواهر طبيعية مثل كل الظواهر الفزيائية الأخرى، وبالتالي فدور المفكرين هو البحث عن القوانين الطبيعية التي تحكم هذه الظواهر الاقتصادية، واكتشاف محدداتها وتأثيراتها.

2. من هم الطبيعيون ؟

يمكن القول عن الطبيعيين بأنهم إتجاه فكري ظهر في فرنسا خلال القرن الثامن عشر، إهتم أساسا بالبحث عن القوانين الطبيعية التي تحكم الظواهر الاقتصادية، لكن هذا الفكر إنتشر وامتد لانجلترا وباقي الدول الاخرى، وتبلور جوهر الفلسفة الطبيعية في النظام الطبيعي وقوانينه.

لكن فكرة القانون أو النظام الطبيعي اختلفت بين المفكرين الفرنسيين والإنجليز، فعند الفرنسيين كان الهدف من البحث عن القوانين الطبيعية هو إيجاد أفضل النظم التي من خلالها يمكن تسيير الاقتصاد (فكر متفائل)، أما عند الانجليز فالأمر لا يتعدى أن يكون علاقات ضرورية بين ظواهر لا يمكن تعديها ومنه فهي تمثل قيودا وعقبات في طريق التنمية (فكر متشائم).

المحور الثاني: الخطوط العريضة لفكر المدرسة الطبيعية

1. مبادئ الفكر الاقتصادي الطبيعي

إهتم الفكر الطبيعي أساسا بالبحث عن أفضل النظم الاقتصادية التي تزيد من الرفاهية المجتمعية، لهذا ارتكز الفكر الطبيعي على مبادئ أساسة هي:

- مبدأ الملكية الخاصة والمنفعة الفردية (كل فرد أدرى بمصالحه)؛

د.ساري نصر الدين - محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي - كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير - جامعة سطيف 1 (النسخة الكترونية)

- مبدأ حرية المنافسة (لتحقيق المنفعة العامة من خلال التنافس)؛

- القوانين الطبيعية مطلقة وعالمية ولا تتغير، وبالتالي فهي تحكم الظواهر الاقتصادية بشكل كامل ويجب البحث فيها ودراستها.

2. أهم المنطلقات الفكرية للطبيعيين

يمكن تلخيص أهم المنطلقات الفكرية للطبيعين في النقاط التالية:

- قسم الطبيعيون النشاط الاقتصادي إلى فئتين: نشاط تحويلي لا يساهم في خلق الثروة، ونشاط منتج يساهم في خلق الثروة، وأهم هذه الانشطة على الإطلاق هو الزراعة. وبالتالي ارتبط مفهوم الثروة عند الطبيعيين بالأرض وبالنشاط الزراعي خصوصا؛

- كما قسم المجتمع لطبقتين: أولا طبقة المنتجين (الفلاحين وعمال الارض)، والثانية هي الطبقة غير المنتجة كالحرفيين والصناع وعمال الخدمات ...الخ؛

- إرتبط مفهوم الانتاج بالعمل الذي يخلق ناتجا صافيا جديدا ... وليس تحويلا للمادة من شكل لاخر أو مجرد جمع الذهب والفضة؛

- الدورة الاقتصادية تبدأ من الأرض والنشاط الزراعي وتعود اليه؛

- الضريبة تفرض على النشاط الزراعي فقط لأنه النشاط الوحيد المنتج

المحور الثالث: التحليل الاقتصادي وفكرة الناتج الصافي والجدول الاقتصادي

1. التحليل الاقتصادي للمدرسة الطبيعية

إرتكز التحليل الاقتصادي للمدرسة الطبيعية على فكرة عدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي وتركه حرا، وهذا لترك القوانين الطبيعية تسير بشكل سلس دون تدخل من الانسان في تحجيم وتحديد العلاقات الاقتصادية.

كما ركز الطبيعيون في تحليلهم الاقتصادي على تفسير الحركة التدفقية للدورة الاقتصادية، وسلموا بأنها تبدأ من النشاط الزراعي ثم تعود إليه في النهاية، لكن لم يقومو في تحليلهم بالتركيز على مفهوم القيمة أو دراسة وتحليل النظرية السعرية أو مشاكل السوق وتداعياتها المستقبلية.

د. ساري نصر الدين - محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي - كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير - جامعة سطيف 1 (النسخة الالكترونية)

ومنه يمكن القول بأن التحليل الاقتصادي للطبعين إرتكز على عنصرين أساسين هما

- طبيعة الثروة ← مادية (La richesse est réelle)

- سبب الثروة ← الإنتاج الزراعي (L'agriculture, seule, est productrice de richesses)

2. الناتج الصافي

إنبثقت فكرة الناتج الصافي produit net عن تطوير مفهوم الثروة لدى الطبيعيين من مجرد كونها رصيد متزايد من الذهب والفضة، إلى كونها منتجات مادية يتم خلقها أساسا عن طريق الانتاج الزراعي، وبالتالي قسم الطبيعيون النشاط الاقتصادي إلى نوعين:

- نشاط منتج ← الزراعة.

- نشاط عقيم (لكنه مفيد) ← الصناعة وباقي الأنشطة الاخرى.

ومنه فالمجتمع حسبهم مقسم لثلاث طبقات اساسية على أساسها يتحدد الانتاج الصافي وهم:

أ. الطبقة المنتجة ← المزارعين

ب. الملاك (ملاك الارض) ← (الملكية تحترم في القانون الطبيعي)

جـ. الطبقة الصناعية والتجارية ← طبقة عقيمة

ومنه فالناتج الصافي يتم خلقه فقط عن طريق النشاط الزراعي لأنه النشاط الوحيد الذي يعطي إنتاجا جديدا وزائدا، وليس تحويليا فقط مثل الصناعة.

3. الجدول الاقتصادي وفكرة الدورة الاقتصادية Tableau économique

الجدول الاقتصادي الذي تكلم عنه «فرونسوا كيناي» يعبر أساسا عن أفكاره فيما يخص التوزيع .... أي كيفية توزيع الناتج الصافي على افراد المجتمع، وشبه ذلك بالدورة الدموية لجسم الانسان، فالجدول الاقتصادي يبين المنتجات السلعية وما يقترن بها من نقود، وآليات حركتها بشكل دائري متواصل في الاقتصاد، ويعبر ذلك عن الدورة الاقتصادية.

د. ساري نصر الدين - محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي - كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير جامعة سطيف 1 النسخة الكترونية

فحسب كيناي فان السلع والنقود تدور بين طبقات المجتمع الثلاث، بداية من الطبقة المنتجة «الناتج الصافي» وعودة اليها.

وقد أعطى "كيناي" مثالا للدورة الاقتصادية في المجتمع من خلال القول بأن المزارعين ينتجون ناتجا صافيا يقدر ب 3 ملايير فرنك (5 ملايير – 2 مليار كاستخدام أولي). 2مليار للملاك، 1مليار للصناع، حيث يشتري الملاك من الصناع والمزارعين فيعود 1مليار للمزارعين ويصبح للصناع 2 مليار، وفي النهاية الصناع يشترون من المزارعين ب 2 مليار، فتبدأ دورة اقتصادية جديدة بناتج صافي متزايد.

ويتوزع هذا على طبقات المجتمع بناءا على الشكل التالي:

شكل رقم 1: الجدول الاقتصادي Tableau économique

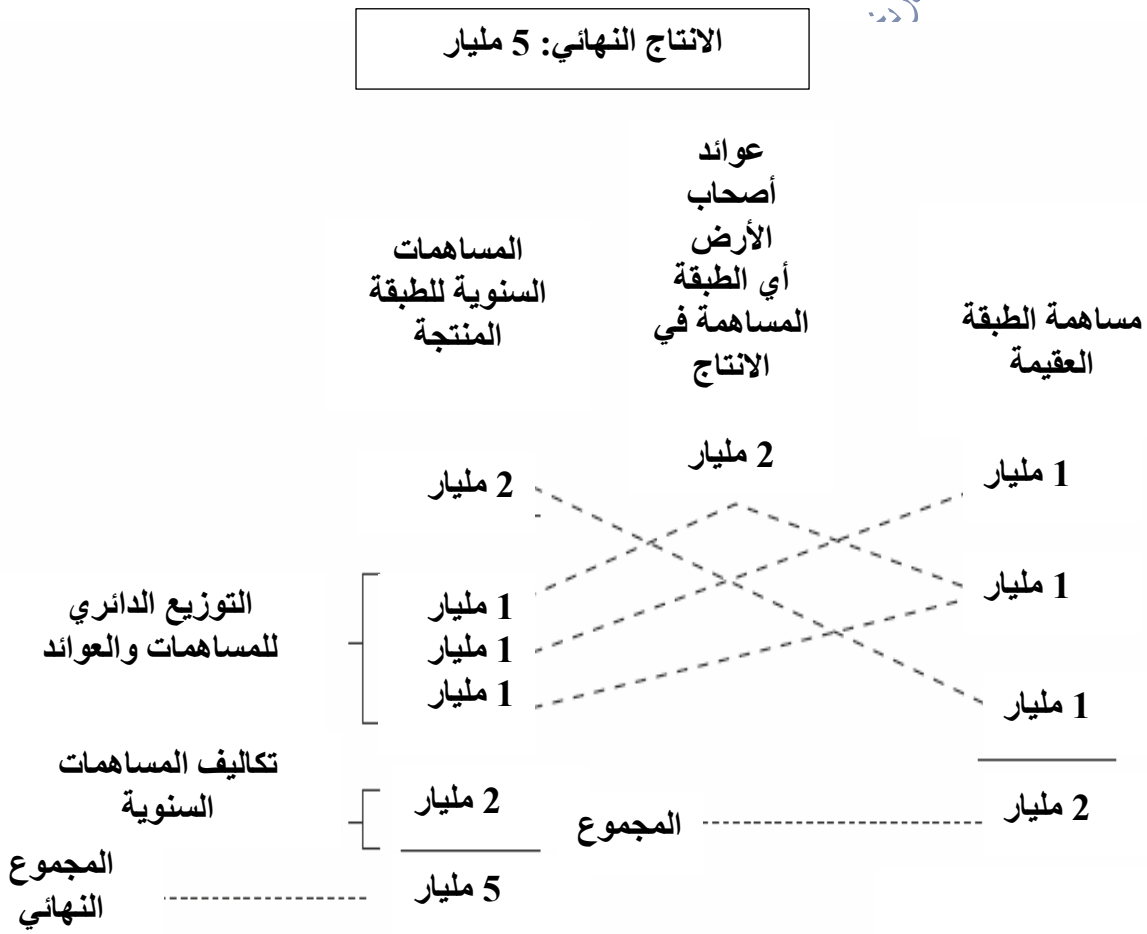

المصدر: إعداد الباحث

المحور الرابع: أهم رواد المدرسة الطبيعية

1. فرونسوا كيناي (Francois Quensay) 1694 –1774

فرونسوا كيناي يعتبر الأب الروحي للفكر الطبيعي، وهو طبيب فرنسي (طبيب الملك لويس الخامس عشر) كما يعتبره البعض مؤسس الاتجاه والحركة الفكرية الاقتصادية الطبيعية في القرن الثامن عشر، له العديد من الإسهامات في الفكر الاقتصادي لعل أشهرها على الإطلاق فكرة الجدول الاقتصادي (1758) والناتج الصافي، كما أن كيناي اعتقد اعتقادا راسخا بأن النشاط الزراعي (الارض) هو المنتج الوحيد للثروة.

إعتبره الكثير من الاقتصاديين (كماركس وشمبيتر) مؤسسا للاقتصاد المعاصر (نظرا لاسهاماته الكبيرة في الاقتصاد والخروج به من مجرد فلسفة لاهوتية إلى جوانب علمية أسست لقيام علم الاقتصاد الحديث).

كما أسهم كيناي في تحديد مفاهيم رأس المال وقسمه إلى ثلاث أجزاء:

- رأس المال المادي وهي السلع المنتجة؛
- رأس المال المستخدم: الذي يدخل في العملية الانتاجية؛
- رأس المال المتداول: منه ما يتم إنفاقه على المواد الاولية.

2. روبرت جاك تورغوت Anne Robert Jacques Turgot (1727 –1781)

ساهم تورغوت كثيرا في تطوير الفكر الاقتصادي الطبيعي بصفته مراقبا عاما للمالية (وزيرا للمالية) في عهد لويس السادس عشر، وعارض بشدة الأفكار التجارية والنظم الاقطاعية التي سادت في اوروبا في العصور الوسطى وباقي مخلفاتها، لكنه شجع المزارعين الرأسماليين لاعتقاده بانهم أكثر كفاءة في الانتاج وخلق الناتج الصافي، ودعا لفرض ضرائب مباشرة على ملاك الأرض لانهم في اعتقاده لا يستثمرون الأرباح وريوع الأرض في أعمال منتجة مباشرة.

(د. ساري نصر الدين - محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي - كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير - جامعة سطيف 1 النسخة الكترونية)

3. بعض المفكرين الأخرين الذين كانت لديهم بوادر الفكر الطبيعي

- **وليام بيتي:** (تكلمنا عنه في المدرسة التجارية) لكن بيتي له إعتقادات بوجود قوانين طبيعية تحكم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، كما أن الانتاج عنده يتركز في عنصرين هما الأرض والعمل، أما رأس المال فربطه بالعمل .... كما اعتبره بعض المؤرخين أب الاقتصاد السياسي.

- **كوندياك (1715-1780):** في كتابه «التجارة والحكومة والإرتباط المتبادل» تطرق كوندياك للعديد من الافكار الاقتصادية لعل اهمها هو تعريفه للانتاج بأنه تحويل للمادة إلى صورة أكثر منفعة، حيث ربط القيمة بالمنفعة، ولم يكن يؤمن بفكرة أن الارض هي المصدر الوحيد للثروة، لهذا فهو من بين الذين وضعوا اللبنة الاساسية تجاه التفكير السليم في القيمة ومحدداتها.

- **ريتشارد كانتيون** Richard Cantillon (1680-1734) : يعتبر من بين المفكرين الذي ساهمو في الإنتقال من الفكر التجاري إلى الفكر الطبيعي، ففي كتابه «الطبيعة العامة للتجارة» بين بأن الجماعات الانسانية تخضع أساسا للنظام الطبيعي، وأن الثروة تشمل أبعاد متعددة كالسلع والخدمات والطعام ... الخ، ولكن المصدر الاساسي للثروة عنده هي الأرض.

المحور الخامس: تقييم إسهامات المدرسة الطبيعية في الفكر الاقتصادي

1. الإيجابيات

- لعل أهم إسهام للتيار الطبيعي هو إخراج مفهوم الثروة عند كونه مجرد جمع رصيد كبير من النقود الثمينة، وإعطائه صبغة اقتصادية تتعلق بالانتاج (الانتاج الزراعي خصوصا)؛

- يعتبر بعض المؤرخين أن الاقتصاد أصبحت له اتجاهات فكرية علمية على يد الطبيعيين؛

- فكرة عدم تخدل الدولة في الاقتصاد والحرية الاقتصادية أسست لتطور الابداع الاقتصادي فيما بعد؛

- يعتبر الجدول الاقتصادي أهم انجاز في الفكر الاقتصادي للطبيعيين لانه اعطى صورة عن الدورة الاقتصادية وتفرعاتها ومحدداتها بالرغم من بساطتها في بداية الأمر.

بلماري نصر الدين - محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي - كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير - جامعة سطيف 1 (النسخة الكترونية)

2. السلبيات

بالرغم من فكرتهم الجيدة حول الثروة والنقود ... إلا أن قصر فكرة الناتج الصافي على الانتاج الزراعي تعتبر خاطئة تماما، لأن الطبيعيين لم يدركو أن الانتاج الحقيقي لا يكمن في إنتاج أو خلق المادة، بل يكمن اساسا في خلق القيم المضافة، وبهذا المفهوم يصبح النشاط الصناعي غير عقيم عكس إعتقادهم، كما أن الاقتصاد لا يخضع في مجمله للقوانين الطبيعية التي تحكم بعض الظواهر الأخرى، بل يخضع كذلك لاعتبارات اجتماعية وسياسية ومحددات فنية أخرى.

أسئلة للنقاش

- ماهي الخصائص العامة للفكر الاقتصادي الطبيعي؟

- لماذا اعتبر الطبيعيون النشاط الزراعي هو النشاط الوحيد المنتج للقيمة؟

- على ماذا تقوم فكرة الجدول الاقتصادي لفرونسوا كيناي؟

د. ساري نصر الدين - محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي - كلية العلوم الاقتصادية و التجارية و علوم التسيير - جامعة سطيف 1 (النسخة الكترونية)